

أحكام الاختان الفرعوني في الفقه والقانون

الدكتور عماد عمر خلف الله أحمد

أستاذ مساعد بكلية الشريعة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً والصلاة والسلام على من بعثه ربه مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد ... فننذ زمن ليس بالبعيد، استمعت لباحث اجتماعي يجوب منطقة شمال سنار، يحذر الناس من العادات الضارة وعلى رأسها الاختان الفرعوني، وكنت من ضمن الحضور الذين استمعوا لبعض محاضراته عن الاختان الفرعوني. ومنذ ذلك الحين اهتممت بهذا الأمر، ودار في خاطري أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع، وكنت مهتماً جداً بالكتب والمجلات التي تتناول هذا الموضوع، وأصبح لدي معلومات وفيرة عنه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

أولاً: ما زال الناس في كثير من المدن والقرى والأرياف يمارسون الاختان الفرعوني، مما أدى إلى انتشاره ورسوخه في المجتمع.

ثانياً: بيان خطورة الاختان الفرعوني على صحة الأنثى الجسدية والنفسية.

ثالثاً: بيان أن الاختان الفرعوني من الأسباب التي كدرت صفو الحياة الزوجية، بل أدت إلى انهيارها عند كثير من الناس، لأنه يعوق الكفاءة الجنسية.

رابعاً: أن طرُق مثل هذا الموضوع، والعناية به وبيان بعض أحكامه الشرعية، فيه معونة على البر والتقوى، وذلك مندوب إليه شرعاً.

خامساً: ضعف تناول هذا الموضوع الخطير في أجهزة الإعلام، مما أدى إلى جهل الناس به.

منهج البحث

أولاً: اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، في تعريف الختان الفرعوني وكيفية وحكمه وآثاره وعقوبته.

ثانياً: اعتمدت على الكتب المؤلفة في الختان والفرعوني، واستفدت مما ورد في المجلات والدوريات بشأن الختان.

ثالثاً: كما اعتمدت على المعلومات الطبية التي استقيتها من بعض الأطباء المختصين في أمراض النساء والتوليد.

رابعاً: أما من الناحية القانونية وما يتصل بتوثيق المواد التي حددت عقوبة الختان الفرعوني فاعتمدت فيها على المراجع الخاصة بقانون العقوبات.

خامساً: قمت بتصميم استبانة لبعض الشباب الذين كانوا حديثي عهد بالزواج، لبيان آثار الختان الفرعوني على ليلة الزفاف.

سادساً: استفدت أيضاً من الاستبانة التي أجرتها صحيفة أخبار اليوم لبعض النساء، لبيان أثر الختان الفرعوني وخطورته.

سابعاً: عزوت الآيات التي اعتمدت عليها في البحث إلى سورها، وخرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، وأحياناً إذا كان الحديث في غير الصحيحين أبين حكمه ودرجته وأقوال العلماء فيه.

محتويات البحث

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: تعريف الختان

المطلب الأول: تعريف الختان لغةً

جاء في لسان العرب: الأعرف أن الخفض للبرأة والختان للصبي، فيقال للجارية خُفِضَتْ، وللغلام خُتِنَ، وقد يقال للختان خافض، وليس بالكثير. وقال النبي ﷺ لأم عطية: ((إِذَا خَفَضْتَ فَأَشِيتِي))، أي: إذا

خَتْنُ الجارية فلا تسحي الجارية، والخفض ختان الجارية. والخفض المطمئن من الأرض، وجمعه خُفْضُ (١).

والختان: موضع الختن من الذكر، وموضع القطع من نواة الجارية. ومنه الحديث المروي: «إِذَا تَقَى الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجِبَ الْغُسْلُ» (٢)، وهما موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية. ويقال لقطعهما الإعذار والخفض، ومعنى التقائهما مغيب الحشفة في فرج المرأة حتى يصير ختانه بجذاء ختانها، وذلك أن مدخل الذكر من المرأة سافل عن ختانها لأن ختانها مستعلي، وليس معناه الماس ختانه ختانها (٣).

وفي القاموس: ختن الولد يَخْتَنُ وَيَخْتَنُهُ فهو خَتْنٌ، ويختون قطع غرلته، والاسم: ككَّاب وكَّابة، والختانة صناعة، والختان موضعه من الذكر، والختن: القطع (٤).

وجاء في النهاية: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل «هما موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية ويقال لقطعهما الإعذار والخفض (٥).

وفي المصباح المنير: ختن الختان الصبي ختناً من باب ضرب والاسم الختان بالكسر، وقد يؤنث بالهاء فيقال خِتانُهُ، فالغلام محتون والجارية محتونة، غلام وجارية ختن أيضاً (٦).

(١) لسان العرب لابن منظور: (١٤٦/٧) دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، بدون.

(٢) أخرجه الترمذي: (١٨٠/١) باب ما جاء إذا التقى الختانان برقم: (١٠٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، وابن ماجه: (١٩٩/١) باب في وجوب الغسل إذا التقى الختانان، برقم: (٦٠٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت. وقال الحافظ في تلخيص الحبير [١٣٤/١] تحقيق السيد عبد الله هاشم الجبالي - المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ: «تنبيه: قال النووي في التنقيح: هذا الحديث أصله صحيح إلا إن فيه تغييراً، وتبع في ذلك ابن الصلاح فإنه قال في مشكل الوسيط هو ثابت من حديث عائشة بغير هذا اللفظ وأما بهذا اللفظ فغير مذكور».

(٣) لسان العرب: (٥٥١/٤).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي: (٣١١/٤)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (٢٠/٢)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٦) المصباح المنير للفيومي: (١٦٤/١)، المكتبة العلمية - بيروت، بدون.

المطلب الثاني: تعريف الختان اصطلاحاً

تعريف الحنفية

جاء في البحر الرائق: "وختان المرأة موضع قطع جلدة منها كعرف الديك، فوق الفرج، وذلك لأن مدخل الذكر هو مخرج المني والولد والحيض، وفوق مدخل الذكر مخرج البول كإحليل، وبينهما جلدة رقيقة يقطع منها من الختان فحصل أن ختان المرأة مستعمل، وتحت مخرج البول مدخل الذكر، فإذا غابت الحشفة في الفرج فقد حاذى ختانه، ولكن يقال لموضع ختان المرأة الخفض، فذكر الختانين بطريق التغليب قيد بالتواري، لأن مجرد التلاقي لا يوجب الغسل" (١).

تعريف المالكية

جاء في شرح الزرقاني: "وخفاض المرأة وهو قطع جلدة في أعلى فرجها، تشبه عرف الديك، بينها وبين مدخل الذكر جلدة رقيقة" (٢).

تعريف الشافعية

جاء في المجموع: "وأما ختان المرأة؛ فاعلم أن مدخل الذكر هو مخرج الحيض والولد والمني، وفوق مدخل الذكر ثقب مثل إحليل الرجل، هو مخرج البول، وبين هذا الثقب ومدخل الذكر جلدة رقيقة، وفوق مخرج البول جلدة رقيقة مثل ورقة بين الشفرين. والشفران تحيطان بالجميع، فتلك الجلدة الرقيقة قطع منها في الختان، وهي ختان المرأة، فحصل أن ختان المرأة مستعمل، وتحت مخرج البول، وتحت مخرج البول مدخل الذكر... ومخرج الحيض الذي هو مخرج الولد، ومدخل الذكر هو خرق لطيف، فإذا اقتضت البكر آسع ذلك الخرق، فصارت ثيباً" (٣).

(١) البحر الرائق لابن نجيم الحنفي: (٦١/١)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ: (١٣٨/١) دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.

(٣) المجموع في شرح المذهب للنووي: (١٤٩/٢)، تحقيق: محمود مطرجي - دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.

تعريف الحنابلة

جاء في الكافي: "وختان المرأة جلدة كعرف الديك في أعلى الفرج يقطع منها في الختان، فإذا غابت الحشفة في الفرج تحاذى ختانها فيقال التقيا وإن لم يتماسا" (١).

تعريف الأطباء

قال البروفيسر فيصل محمد مكي: "هو الاستئصال الدائري لقلقة البظر، وهو يشبه ختان الذكور، وهذا النوع من الختان يمارس أحياناً في الولايات المتحدة الأمريكية لمعالجة هزة الجماع، في حالة زيادة قلقة البظر، وهذا النوع لم تذكر فيه أية آثار ضارة في الصحة" (٢).

ويقول الدكتور محمد علي البار (٣): "الختان هو أخذ القلفة التي تكون على القضيب أو الغشاء الذي يكون على بظر الأنثى" (٤).

وجاء في كتاب العادات التي تؤثر على صحة النساء الذي صدر عن منظمة الصحة العالمية عام ١٩٧٩م ما يأتي: "إن انخفاض الأصلي للإناث «Proper Circumcision» هو الاستئصال الدائري لقلقة البظر وهو شبيه بختان الذكور ويعرف في الأقطار الإسلامية بخفض السنة ... وهذا النوع لم تذكر له أي آثار ضارة على الصحة" (٥).

التعريف المختار

هو قطع أدنى جزء من جلدة أعلى الفرج تشبه عرف الديك، وهي قلقة البظر عند الأنثى، وتترك الحشفة مكشوفة لتسهيل نظافتها، ولكي تعطي المرأة أيضاً حقها الكامل في التمتع بالمعاشرة الزوجية، وأي زيادة على قطع القلفة سواء كانت من البظر، أو من الشفرين الصغيرين، أو الكبيرين، تضر بصحة المرأة ولا تنفعها،

(١) الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة المقدسي: (٥٧/١)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٥، ١٤٠٨هـ.

(٢) خفض المرأة للبروفيسر فيصل مكي: (ص ١٩)، منشورات معهد سكيكية ط ١، ١٩٩٠م أم درمان.

(٣) مستشار الطب الإسلامي في مركز الملك فهد للبحوث الإسلامية بجدة.

(٤) الختان للذكور محمد علي البار: (ص ٤٦) دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة، ط ١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٥) ختان الأنثى للذكورة آمال أحمد البشير: (ص ١٦)، مطابع السودان للعملة، ط ١، ١٤١٦هـ.

وهذا النوع من الختان ليس فيه أية آثار ضارة بصحة الأنثى.

تعريف الختان الفرعوني

هو إزالة البظر، وكل الشفرين الصغيرين، وعلى الأقل الثلثين الأماميين من الشفرين الكبيرين، وغالباً كل الشفرين الكبيرين، ثم يخاط الفرج بفتلات من الحرير، أو العصب كما هو معروف في السودان، أو بالشوك كما يجري الحال في الصومال، وبذلك يكون مدخل المهبل قد قفل تماماً، إلا من فتحة صغيرة جداً في الخلف لخروج البول ودم الحيض، وحتى لا يقفل المهبل تماماً فهم يقومون بإدخال قطعة صغيرة من الخشب، وعادة ما تكون عوداً، أو نواة بلح رقيقة، ثم يربط ساقا الطفلة مع بعضها فوق وتحت الركبة، وعند الكعبين (١).

المبحث الثاني: حكم الختان الشرعي وفوائده

المطلب الأول: حكم الختان الشرعي

اختلف أهل العلم رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وجوب الختان على الذكر والأنثى، وهو مذهب الشافعية والحنابلة وبعض المالكية.

والقول الثاني: الختان سنة، وهو مذهب الحنفية وبه قال الإمام مالك والإمام أحمد في رواية.

القول الثالث: الختان واجب على الذكور، ومكرمة للإناث، وهو رواية عن الإمام أحمد، وبه قال بعض المالكية.

تحرير القول الأول

جاء في المجموع: "الختان واجب على الرجال والنساء عندنا، وبه قال كثيرون من السلف، كذا حكاه الخطابي" (٢). وجاء في روضة الطالبين: "الختان واجب في حق الرجال والنساء، وقيل سنة، وقيل واجب

(١) خفاض المرأة برفسيفصل مكي: (ص ١٩-٢٠)، منشورات معهد سكيبة ط ١، ١٩٩٠م، أم درمان.

(٢) المجموع للتووي: (٣٦٦/١).

في الرجل سنة في المرأة، والصحيح المعروف هو الأول“ (١).

وجاء في كشف القناع: ”وحيث تقرر وجوب الختان على الذكر والأنثى فيختن ذكر خنثى مشكل وفرجه احتياطاً وللرجل إجبار زوجته المسلمة عليه كالصلاة“ (٢).

وجاء في القوانين الفقهية (٣): ”وقال الشافعي هو فرض، ويظهر ذلك من كلام سخون لأنه علم على الإسلام لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]“.

تحرير القول الثاني

جاء في الحاشية: ”الختان سنة للرجال، من جملة الفطرة، لا يمكن تركها، وهي مكرومة في حق النساء“ (٤).

وجاء في الكافي: ”وقد روي عن مالك أنه سنة للرجال والنساء“ (٥).

وجاء في المحرر: ”ويجب الختان ما لم يخف منه وعنه لا يجب على النساء“ (٦).

تحرير القول الثالث

جاء في كفاية الطالب: ”والخفاز في النساء وهو إزالة ما بفرج المرأة من الزيادة مكرومة“ (٧).

وجاء في المغني: ”فأما الختان فواجب على الرجال، ومكرومة في حق النساء، وليس بواجب عليهن، هذا قول كثير من أهل العلم“ (٨).

(١) روضة الطالبين للنووي: (١٨٠/١٠)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

(٢) كشف القناع للبهوتي: (٨٠/١)، تحقيق: هلال مصيلحي - دار الفكر - بيروت، ١٤٠٢ هـ.

(٣) القوانين الفقهية لابن جزي: (١٢٩/١) بدون.

(٤) حاشية ابن عابدين: (٣٧١/٦)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٨٦ هـ.

(٥) الكافي لابن عبد البر: (ص/٦١٢)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣، ١٤١٣ هـ.

(٦) المحرر في الفقه لابن تيمية: (١١/١)، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.

(٧) كفاية الطالب علي بن خلف المالكي: (٥٧٥/٣)، تحقيق أحمد إمام وعلي الهاشمي، مكتبة الخالجي، ط ١، ١٤٠٧ هـ.

(٨) المغني لابن قدامة: (٦٣/١)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

أدلة القول الأول

استدل القائلون بوجوب الختان مطلقاً بالكتاب والسنة والعقل.

أ. الأدلة من الكتاب والسنة

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَمَرْتُ إِبْرَاهِيمَ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]

وجه الدلالة: أن الختان من تلك الكلمات التي ابتلاه الله بها، كما صح ذلك عن ابن عباس ؓ أنه عده منها والابتلاء إنما يقع غالباً بما هو واجب (١).

٢ - وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]

وجه الدلالة: الختان من ملة إبراهيم، واختن إبراهيم بالقدم، وهو ابن ثلاثة وثلاثين، فيكون داخلاً في عموم المأمور باتباعه والأصل في الأمر أنه للوجوب ما لم يوجد صارف (٢).

ب. الأدلة من السنة

١ - عن أبي هريرة ؓ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ وَتَمِثُّ الْآبَاتِ» (٣).

وجه الدلالة من الحديث: أن خصال الفطرة عامة تشمل الرجال والنساء ومن قال إن الختان غير واجب على النساء، مطالب بدليل التخصيص.

٢ - قوله ﷺ للخنثى: «إِذَا خَفَضْتَ فَأُشْبِي وَلَا تُنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَرْضَى لِلزَّوْجِ» (٤). قال الشافعية:

(١) تفسير ابن كثير: (١٦٦/١)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠١هـ. وأحكام القرآن للجصاص: (٨١/١)، تحقيق: محمد الصادق قعاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) تحفة المودود لابن القيم: (ص ١٢٨ بصرف)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار الريان - دمشق، ط١، ١٣٩١هـ.

(٣) أخرجه البخاري: (٢٢٠٩/٥)، باب تقليم الأظفار برقم (٥٥٥١)، دار ابن كثير الجامعة، بيروت ط٣، ١٤٠٧هـ. ومسلم: (٢٢١/١)، باب خصال الفطرة برقم: (٢٥٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٣٦٨/٢)، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسني - دار الحرمين القاهرة، ١٤١٥هـ. وقال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٥): إسناده حسن، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت،

الواجب في المرأة قطع ما ينطلق عليه الاسم من الجلدة.

٣ - حديث عثيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أسلمت، فقال: ((أَتَيْ عَنكَ شَعَرَ الْكُفْرِ وَاخْتَنَ)) (١).

وجه الدلالة: أن قوله «اختن» أمر، والأمر للوجوب؛ فدل ذلك على وجوب الاختتان ولزومه، وخطاب الواحد يشمل غيره، حتى يقوم دليل الخصوصية (٢).

٤ - واستدلوا أيضاً بما روي عن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَسْلَمَ فَلْيَخْتَنْ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا)) (٣).

وجه الدلالة: أن قوله «فليختن» أمر والأمر للوجوب، وقد وقعت صيغة الشرط في قوله «من أسلم» بلفظ عام فيشمل ذلك الرجال والنساء (٤).

ج. دليلهم من النظر

وهو ينحصر في الوجوه التالية:

١ - أنه يجوز كشف العورة فلو لم يجب لما جاز ذلك، لأنه ليس لضرورة ولا لدواء (٥).

٢ - إن القلفة تحبس النجاسة، وإزالة النجاسة أمر واجب لمكان العبادات، ولا تتم إزالة القلفة إلا بالختان،

١٤٠٧هـ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٤٧/٢) برقم: (٧٢٢)، مكتبة المعارف، الرياض. ومن شواهد هذا الحديث دخلت على النبي ﷺ نساء الأنصار فقال: ((يا نساء الأنصار اختضبن غسلاً واخفضن ولا تهكن فإنه أحظ عند أزواجكن وإياكن وكفر المتنعمين))، أخرجه البراز وقال: مندل ضعيف، وكذا قال الهيثمي في المجمع: (١٧١/٥ - ١٧٢): وثق، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: وباجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد: (٤١٥/٣)، مؤسسة قرطبة - القاهرة، بدون، وأبو داود: (١٥١/١)، برقم: (٣٥٦)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر، بيروت، وقال الحافظ في التلخيص (٨٢/٤): وفيه انقطاع، وعثيم وأبوه مجهولان، قاله محيي القطان، وحسنه الألباني في التعليق على سنن أبي داود.

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٣٤١/١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب - دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) قال الحافظ في التلخيص (٨٢/٤): رواه حرب بن إسماعيل.

(٤) أحكام الجراحة الطبية للشقيطي: (ص ١٥٦)، مكتبة الصديق - الطائف السعودية.

(٥) المجموع للنووي: (٣٠٠/١)، وفتح الباري لابن حجر: (٣٤١/١٠).

فيكون واجباً لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (١).

٣- إن ولي الصبي يؤمله بالختان ويعرضه للتلف بالسراية، ويخرج من ماله أجرة الختان وثن الدواء، ولا يضمن سرايته بالتلف، ولو لم يكن واجباً لما جاز ذلك (٢).

٤- إن في الختان ألماً عظيماً على النفس، وهو لا يشرع إلا في إحدى ثلاث خصال: لمصلحة أو لعقوبة أو وجوب وقد اتفق الأولان فبقي الثالث (٣).

وأما استدلالهم بالقياس فقالوا:

١- إنه قطع شرعه الله لا تؤمن سرايته فكان واجباً كقطع يد السارق (٤).

٢- إنه من شعار المسلمين فكان واجباً كسائر شعائرهم (٥).

أدلة القول الثاني

استدل القائلون بسنية الختان وعدم وجوبه بالسنة:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ وَالْإِسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ وَتَنْفُ الْآبَاطِ» (٦).

وجه الدلالة: أن المراد بالفطرة السنة، وعليه فإن الختان مسنون وليس بواجب، ولذلك قرن في الحديث بما ليس بواجب كالاستحداد (٧).

٢- عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ مَكْرَمَةٌ لِلنِّسَاءِ» (٨).

(١) تحفة المودود لابن القيم: (ص ١٣١).

(٢) المصدر السابق: (ص ١٣٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر: (٣٤٢/١).

(٤) المغني لابن قدامة: (٨٥/١)، وتحفة المودود: (١٢٩-١٣٠).

(٥) فتح الباري: (٣٤٢/١)، وتحفة المودود: (ص ١٣٠).

(٦) سبق تخريجه في حكم الختان.

(٧) تحفة المودود لابن القيم: (ص ١٣١-١٣٢).

(٨) أخرجه أحمد: (٧٥/٥) وقال الحافظ في التلخيص (٨٢/٤): أخرجه أحمد والبيهقي من حديث حجاج بن أرطاة عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه والحجاج مدلس وقد اضطرب فيه فتارة رواه كذا وتارة رواه بزيادة شداد بن أوس بعد والد

وجه الدلالة: أن الحديث نص على اعتبار الختان سنة بالنسبة للرجال ومكرمة بالنسبة للنساء وهذا ظاهر في الدلالة على عدم وجوبه على كلتا الطائفتين.

أدلة القول الثالث

احتج القائلون بالتفصيل ببعض ما تقدم من أدلة القائلين بوجوب الختان على الرجال والنساء، وقالوا: إن الختان في حق الرجال أكد، لأنه إذا لم يحتن فإن الجلدة المدلاة على الكرة تمنع من الإنقاء، والمرأة أهون، فلذلك كان واجباً عليه دونها (١).

الترجيح

الراجح أن ختان الإناث واجب والله أعلم للآتي:

١ - لصحة ما استدل به من قال بالوجوب، وحديث خصال الفطرة ليس له مخصص أن الختان واجب على الذكور دون الإناث.

٢ - أما استدلال أصحاب القول الثاني بحديث أبي هريرة رضي الله عنه فيجاب عنه بأنه لو سلمنا أن المراد بالفطرة السنة، فإن ذلك لا يدل على عدم وجوب الختان لأن السنة منها ما هو واجب أمر الشارع به، ومنها ما ليس بواجب، فهي شاملة في أصل الشرع لجميع ذلك، والتفريق بينها وبين الواجب اصطلاح حادث، وهكذا يجاب عن الحديث الثاني الذي احتجوا به، ويزاد عليه أنه ضعيف الإسناد لا يصلح للاحتجاج به.

٣ - وأما استدلال أصحاب القول الثالث فإنه يُجاب عما ذكره من تأكد الاختتان في حق الرجال دون النساء من وجهين:

الوجه الأول: لا نسلم صحته من جهة كونه مقتضياً لسقوط الوجوب في حق النساء لوجود السبب الداعي إليه فيهن، وهو اعتدال الشهوة عند الأنثى بالختان، واعتدالها معين على العفة وهي مقصودة

أبي المليلح أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم في العلل والطبراني في الكبير وتارة رواه عن مكحول عن أبي أيوب أخرجه أحمد وذكره ابن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه خطأ من حجاج أو من الراوي عنه عبد الواحد بن زياد وقال البيهقي: هو ضعيف منقطع.
(١) المغني لابن قدامة: (٨٥/١-٨٦).

ومطلوبة شرعاً، وعليه فكذا أن طهارة الحس موجبة لتأكد الختان عند الرجال، فكذلك طهارة الروح موجبة لتأكده في حق النساء.

الوجه الثاني: سلطنا صحة ما ذكره من النظر لكن نقول هذا اجتهد في مقابل النص ولا اجتهد مع النص ... والله تعالى أعلم.

وأقول: لو تركت المرأة من غير ختان وكانت مغتربة، شديدة الشهوة، فالختان يعمل على اعتدال شهوتها، لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتربة شديدة الشهوة، ولهذا يقال في المشائمة يا ابن القلفاء، فإن القلفاء يتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا يوجد من الفواحش في نساء التتر ونساء الإفرنج ما لا يوجد في نساء المسلمين، وإذا حصلت المبالغة في الختان ضعفت الشهوة فلا يكمل مقصود الرجل فإذا قُطع من غير مبالغة حصل المقصود باعتدال والله أعلم" (١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "إن الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة فقلت حظوتها عند زوجها، كما أنها إذا تركت كما هي لم تأخذ منها شيئاً ازدادت غلبتها، فإذا هي أخذت منها وأبقت كان ذلك تعديلاً للخلقة والشهوة" (٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وقد كان بعض الأشراف يقول للختانة: لا تعرضي إلا لما ظهر فقط، وأكثر العقائف مستوعبات - يعني يستكين شهوتهن بالجماع - وإنما صار الزنا وطلب الرجال في نساء الهند والروم أتم لأن شهوتهن للرجال أشد، وليس لذلك علة إلا وفارة القلفة" (٣).

ولا يخفى على عاقل في هذا العصر، الفساد الأخلاقي والإباحية والانحلال والتهتك الذي تعيشه أمريكا وأوروبا وبعض الدول العربية والإفريقية، كل ذلك من أسبابه الشيق الجنسي الذي سببه ترك الختان الشرعي، وكثير من دعاة الشر والرذيلة يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، لذلك صنعوا لهم أبواباً من بني جلدتنا تنادي بعدم الختان الشرعي وتركه.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١١٤/٢١) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، مكتبة ابن تيمية.

(٢) تحفة المودود لابن القيم: (١٤٠).

(٣) أحكام النساء لابن الجوزي: (١٣٩)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط ٢، ١٤١٤هـ -

ويقول الدكتور فيصل محمد مكي: ”ويلاحظ أن شكل البظر يقارب إلى حد ما شكل القضيب إذ إن له قلفة صغيرة جداً، لها نفس عيوب القلفة في الرجل، فالإفرازات تتجمع فيها كما تنمو الميكروبات، والبظر عضو حساس جداً مثل حشفة القضيب تماماً، وهو عضو انتصابي، وهذه الحساسية والانتصاب من أسباب زيادة الشبق والغلة عند غير المختونات وقد يدعو إلى الجنوح وارتكاب الفاحشة إذا لم يحدث الزواج“ (١).

وما سبق نقول: ترك قلفة البظر ذريعة لشدة الشهوة التي تقود إلى الفاحشة والذريعة التي تفضي إلى الحرام يجب سدها، ”وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهي من أصول مذهب الإمام مالك ﷺ“ (٢). وأيضاً إزالة القلفة فيها طهارة لها من الإفرازات الدهنية التي تتجمع تحت القلفة وهي تؤدي إلى كثير من الالتهابات، ويقول فضيلة الأستاذ محمد محمد اللبان: في ختان الأنثى تزال تلك الزائدة التي تمنع من وصول المياه المطهرة إلى الداخل فيصعب نقاء دماء الحيض والبول مما يؤدي إلى تلك الروائح الكريهة.

وقد حذرت الطبيبة الأمريكية آي. بي. لوري من عدم ختان البنات فقالت: إن عذرة الأنثى بها قلفة أمامية صغيرة مطوية فوقها لحماية نهايتها الحساسة، وأحياناً ما تكون هذه القلفة معقوفة لأسفل بشدة - فبدلاً من أن تكون وقاية فإنها تكون مصدراً للتهيج، لأن الإفرازات الطبيعية تحتجز تحتها - وكمن امرأة كانت عصبية طوال حياتها بسبب قلفة معقوفة، وهو ما يمكن تصحيحه بعملية في منتهى البساطة. وأشارت الطبيبة إلى أن العلاج يكون أحياناً بالترية، ولكن الختان المبكر في سن الطفولة للبنات يكون علاجاً مؤكداً، وقالت إن القلفة المعقوفة ينتج عنها تهيج دائم يعود إلى ممارسات مؤذية للفتاة وقد يفضي إلى ممارسات شاذة وله صلة بالحياة غير السوية لبعض البنات (٣).

ونقول أيضاً: إن قلفة البظر تتراكم فيها الإفرازات النجسة، والميكروبات، والمرأة كالرجل مطالبة بالطهارة، فإن تركت قلفاء لم تكن طهارتها صحيحة، والطهارة واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(١) خفاض المرأة للدكتور فيصل مكي: (ص ١١).

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم: (١٣٣/٣)، تحقيق: طه عبد الرؤوف - دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، وإرشاد الفحول للشوكاني: (٤١٢/١)، تحقيق: محمد سعيد البدري - دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٣) ختان الأنثى للدكتور آمال أحمد البشير: (ص ٢٤-٢٥).

المطلب الثاني: فوائد الاختان الشرعي

اختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله ﷻ لعباده ويجعل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة فهو مكمل للفطرة التي فطرهم عليها ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم وأصل مشروعية الاختان لتكميل الحنيفية فإن الله ﷻ لما عاهد إبراهيم وعده أن يجعله للناس إماماً، ووعد أنه يكون أباً لشعوب كثيرة، وأن يكون الأنبياء والملوك من صلبه، وأن يكثر نسله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختنوا كل مولود منهم، ويكون عهدي هذا ميسماً في أجسادهم فالختان علم للدخول في ملة إبراهيم وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ بِمَنِّ أَحْسَنُ مِنْ مَنِّ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨] على الاختان، فجعل الله سبحانه اختان علماً لمن يضاف إليه وإلى دينه وملته وينسب إليه بنسبة العبودية والحنيفية حتى إذا جهلت حال إنسان في دينه عرف بسمه الاختان (١).

وقد قدم الدكتور محمد البار إلى المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بحثاً جاء فيه: إن ختان الأنثى أو خفضها، الذي ورد في السنة له محاسن كثيرة ذكرها الباحثون في المؤتمر الطبي الإسلامي عن «الشرعية والقضايا الطبية المعاصرة»، وكذلك الدكتور ست البنات خالد اختصاصية النساء والتوليد - جامعة الخرطوم - لها مؤلفات في الكيفية الصحيحة للختان الشرعي وذكرت له عدة فوائد، وهذه الفوائد نجملها فيما يلي:

- ١ - ذهاب الغلبة والشبق (شدة الشهوة والانشغال بها) عن المختونين من الرجال والنساء.
- ٢ - منع الالتهابات نتيجة تجمع اللجن (إفرازات دهنية تتجمع تحت القلفة) والميكروبات تحت قلفة الذكر والإناث.
- ٣ - انخفاض حدوث السرطان لدى الذكور والإناث من المختونين.
- ٤ - إن الإصابة بالهرس التناسلي والقرحة الرخوة والورم المغني تكون أقل حدة عند المختونين من الرجال والنساء على السواء.

(١) تحفة المودود لابن القيم: (١٨٥/١ - ١٨٦) باختصار وتصرف.

٥ - بقطع القلفة يتخلص المرء من الإفرازات الدهنية المقرزة للنفس، ويحال دون إمكان الإبتان والالتهابات.
٦ - يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين، لأن إفرازات القلفة تثير الأعصاب التناسلية حول الحشفة، وتدعو المراهق إلى حكها والاستزادة من مداعبة عضوه (١). وتقول مجلة الإنست البريطانية في مقال نشر عام ١٩٨٩م: "إن ختان الأطفال في الفترة الأولى من العمر يمكن أن يخفض نسبة التهاب المجاري البولية عند الأطفال بنسبة ٩٠%"، وتؤكد الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الأعضاء الجنسية عند الذكور هي عامل هام - كما هي عند الإناث - في إحداث التهابات المجاري البولية والكليتين، ووجد أن هذه الالتهابات بما قد تسببه من مضاعفات يمكن منعه باستئصال قطعة جلدية صغيرة وسليمة هي القلفة (٢).

٧ - تثبيت شرع الله تعالى وسنة النبي ﷺ.

٨ - إعلاء شعيرة العبادة لا العادة.

٩ - مراعاة النواحي الاجتماعية والنفسية، الناتجة عن التخلي المطلق عن الختان.

١٠ - تثبيت البديل المناسب لمحاربة الختان القرعوني (٣).

١١ - نضارة وجه المرأة وبهاؤه، لقوله ﷺ: «أَخْفِضِي وَلَا تَتْرِكِي فَإِنَّهُ أَنْضَرُ لِلْوَجْهِ وَأَعْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ» (٤)، وقد لاحظنا في المجتمع، أن المرأة المختونة ختاناً صحيحاً صحتها النفسية والجسدية أفضل من المختونة بالختان القرعوني وأفضل من القلفاء.

١٢ - إشباع الغريزة الجنسية والراحة النفسية للزوجين، مما يؤدي إلى التوافق الجنسي الذي يؤدي إلى الإلفة والمحبة بينهما، لأن الختان القرعوني يعوق الكفاية الجنسية مما يسبب مشاكل بين الزوجين، وترك الختان يؤدي إلى الشبق الجنسي.

(١) الختان للدكتور محمد علي البار: (ص ٧٣).

(٢) ختان الأنثى للدكتورة آمال أحمد البشير: (ص ٢٥-٢٦).

(٣) ختان الإناث الشرعي رؤية طبية للدكتورة ست البنات خالد: (١٥-١٦)، مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٣م.

(٤) سبق ترجمته في حكم الختان.

المبحث الثالث: الختان الفرعوني كلفيته وأخطاره وآثاره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كلفية اختتان الفرعوني

قبل الدخول في تعريف الختان الفرعوني وكلفيته، لا بد أن نقف على أجزاء الجهاز التناسلي الخارجية للأنثى وهي:

١ - الشفران الكبيران: وهما يستران مدخل الجهاز التناسلي للأنثى وهما عبارة عن طبقة بلون جلد الأنثى يغطيها شعر العانة، والشفران الكبيران يتلامسان بحافتيهما كدفتي الباب عند العذراء وبذلك يمكن إغلاق فوهة الجهاز التناسلي.

٢ - الشفران الصغيران: وهي ثنية مثلثة الشكل لا تظهر عادة إلى خارج الشفر الكبير، ولونها وردي، يختبئان خلف الشفرين الكبيرين (١).

٣ - البظر: وهو عضو تناسلي مهم، مكون من نسيج أجوف دموي شبيه بالنسيج الذكري ولكن أرق منه، مما يشرك الزوجة في المتعة، ويساعد على التوافق الجنسي بين الزوجين وعلى سعادتهما ويقع في أعلى نقطة عند التقاء الشفرين الصغيرين من أعلى، وهو من أهم مناطق الإثارة بالنسبة للمرأة، والبظر يعلو فتحة البول وتنتشر فيه شبكة من الأعصاب الحساسة، ولذا فهو من أكثر المناطق إحساساً باللذة وتقبلاً للإثارة (٢).

٤ - قلفة البظر: وهي عبارة عن جلدة تبدأ من الفاصل الموجود بين رأس البظر وجسمه، مكونة من سطحين وبطانة، بينهما الأعلى جلد عادي، والجزء الذي يواجه البظر غشاء زهامي يفرز مادة زهامية من غدد تايسون، والمادة الزهامية عندما تتجمع تسمى اللخن، وهو مجال غني جداً لتكاثر البكتريا والفطريات

(١) أسرار ليلة الزفاف وشهر العسل لبر محمد إبراهيم: (ص ١٣)، مكتبة الصفا ١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة.

(٢) اختان في الطب والدين والقانون د. أحمد شوقي الفنجري: (ص ٦١-٦٢)، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، وأسرار ليلة الزفاف وشهر العسل: (ص ١٤).

والفيروسات، مما يؤدي إلى حدوث التهابات والتصاقات وحكة وروائح مزعجة، كما أن حجم القلفة وطولها متفاوتان بشكل ملحوظ من فتاة لأخرى، وإن قطع القلفة يكشف رأس البظر ولا يفصله عن الشفرين الصغيرين، الذين يلتقيان بالجزء الأسفل من رأس البظر، وبالتالي فإن المعاشرة الزوجية لا تضر بل تتحسن (١). والقلفة هي الجزء الذي يُقطع في الختان الشرعي، ومن الخطأ الكبير أن يزال البظر أو مقدمته، ويقال هذا هو الختان الشرعي.

٥ - فتحة البول (الصماخ البولي): وتوجد في الزاوية العلوية من الشفرين الصغيرين أسفل البظر وأعلى فتحة المهبل.

٦ - فتحة المهبل: وهي الفتحة التي يتم الجماع من خلالها، ويسدها غشاء البكارة، والمهبل عبارة عن فتحة طويلة مستديرة، طولها (١٠-١٢ سم) مكونة من جلد مخاطي تحيطه ألياف عضلية طويلة مستديرة، وهو العضو الأنثوي الخاص بالجماع، وهو قابل للامتداد والانتساع، ومبطن بغشاء وردي اللون ومخاطي متين، ولجدرانه القدرة على التمدد والاستطالة، وتفرز جدرانه مادة لزجة، ويفرز مواد معينة تحمي الجهاز التناسلي للأنثى من الجراثيم والميكروبات، وتمتص جدران المهبل بعض المواد الحيوية من مني الرجل (٢)، وعند فوته توجد غدتان تفرزان سائلاً هلامياً شفافاً عند الإثارة الجنسية، وذلك لتيسير المعاشرة الجنسية، وانقضاء وقت كافي في المداعبة بين الزوجين ضروري لتنشيط هذه الغدد وإعداد المرأة للعملية الجنسية (٣).

٧ - غشاء البكارة: هو عبارة عن غشاء رقيق يصل ما بين الأعضاء التناسلية الخارجية وبداية الأعضاء التناسلية الداخلية، ويوجد بين الشفرين الكبيرين والصغيرين من ناحية أخرى، ويوجد على مسافة سنتيمترين أو ثلاثة من ناحية الفتحة الخارجية، ويعتبر هذا الغشاء بمثابة الحارس، والدليل على بكارة الأنثى وعذريتها. وهذا الغشاء غير كامل بمعنى أنه ليس مسدوداً سداً تاماً، بل توجد به فتحة أو أكثر

(١) ختان الإناث الشرعي رؤية طبية للدكتورة ست البنات خالد: (ص ١٢).

(٢) أسرار ليلية الزفاف وشهر العسل: (ص ١٥).

(٣) تحفة العروس لعزیز العطارة وأحمد الشاهوي: (ص ٢٦١-٢٦٢)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

من فتحة للسماح بمرور دم الحيض من رحم البنت إلى الخارج بعد وصولها إلى سن البلوغ (١).
ولكل من هذه الأعضاء وظيفة، فكما أنه لا بدّ لعضو الرجل التناسلي من الانتصاب قبل الإيلاج عند الجماع، فكذلك الحال عند المرأة إذ تحدث في أعضائها التناسلية الخارجية تغيرات مماثلة، ينجم عنها انتصاب البظر، وامتلاء الشفرين الكبيرين، كما تقوم الغدد بإفراز سائل لزج يساعد على الإيلاج (٢).

كيفية الختان الفرعوني

هذا النوع من الختان يزال فيه كل البظر، وكل الشفرين الصغيرين، وعلى الأقل الثلثان الأماميان من الشفرين الكبيرين، وغالباً كل الشفرين الكبيرين، ثم يخاط الفرج بفتلات من الحرير، أو العصب كما هو معروف في السودان، أو بالشوك كما يجري الحال في الصومال، وبذلك يكون مدخل المهبل قد قفل تماماً، إلا من فتحة صغيرة جداً، في الخلف لخروج البول ودم الحيض، وحتى لا يقفل المهبل تماماً فهم يقومون بإدخال قطعة صغيرة من الخشب، وعادة ما تكون عوداً، أو نواة بلح رقيقة، ثم يربط ساقا الطفلة أحدهما مع الآخر فوق الركبة وتحتها، وعند الكعبين، وتبقى راقدة على الفراش لمدة ثلاثة أيام، حيث يسمح لها بأن تتجول قدر استطاعتها، ولأن الساقين تكونان مربوطتين، فإن تحركها لا يتم إلا باستنادها على عصا، وتمسكها بكلتا يديها، ويتقدم في قفزات صغيرة، وبعد أسبوعين من عملية انخفاض يعتبر الجرح ملتئماً ويفك ربط الساقين. وقد أثبت الواقع المؤلم أن معظم المضاعفات الضارة بالصحة تنشأ من هذا النوع من انخفاض المسمى «بالفرعوني» (٣).

وقد عرفته منظمة الصحة العالمية على أنه تشويه وعيب بأعضاء الأُنثى التناسلية والذي يشمل على كافة الإجراءات التي تتضمن الاستئصال الجزئي أو الكلي للأعضاء التناسلية أو غير ذلك من أذية هذه الأعضاء، سواء لأسباب ثقافية أو أخرى غير علاجية (٤).

(١) أسرار ليلة الزفاف وشهر العسل: (ص ١٥).

(٢) مذكرة عن الختان في السودان: (مجموعة أطباء سودانيين وبريطانيين): (ص ٢)، مطبوعة سنة ١٩٤٨م.

(٣) خفاض المرأة برفسير فيصل مكي: (ص ١٩-٢٠).

(٤) البتر التناسلي للإناث: للدكتور محمد فياض: (ص ٤٢)، دار الشروق، القاهرة، ط ٩، ١٤١١هـ-١٩٩٨م.

ويقول الدكتور عبد الهادي إبراهيم، اختصاصي النساء والجراحة وطب الأسرة، في ورقة حول الآثار الجنسية لختان الإناث: "أصبح الآن يعرف عالمياً باسمه الجديد التشويه التناسلي للأنثى: (FGM) أو (Female Genital Mutilation)، لأنه فعلاً يشوه أعضاء الأنثى الجنسية الهامة، ويعوق البنت نفسياً وجسدياً، ولا فرق بين أشكال الختان، سواء أكان سنة أو فرعونياً، في ضررها البالغ إذ إن البظر يتر جزئياً أو كلياً وهو عضو جنسي لدى المرأة ويعادل قضيب الذكر تماماً من ناحية وظيفية وتشريحية" (١). والصحيح أن الختان الوارد في السنة ليس فيه استئصال للبظر لا جزئي ولا كلي، وهو مطلوب وليس فيه أي ضرر على صحة الأنثى كما يئنا ذلك في مبحث فوائد الختان.

المطلب الثاني: أخطار عملية الختان الفرعوني

الختان الفرعوني له أخطار جسيمة على الأنثى ومن هذه الأخطار:

- ١ - الصدمة العصبية التي يتعرض لها الطفلة أثناء التقطيع، والتي تنتج عن الألم الشديد، حيث إن الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى غنية بالنهايات العصبية التي تؤدي إثارها بهذه الصورة إلى الهبوط المفاجئ في عمل القلب، وهذا بدوره يؤدي إلى الوفاة السريعة (٢).
- ٢ - النزيف الذي يتأتى منه خطر جراحي قد يؤدي بحياة الفتاة، كما أن هنالك خطر تعفن الجرح والتهاب وما ينجم من ذلك من مضار.
- ٣ - حبس البول ودم العادة - قد تحدث إصابة للصماخ البولي أثناء العملية لقربه من موضع البظر - فيتأتى من ذلك احتباس البول في الأيام الأولى للعملية، فلا تستطيع الفتاة أن تتبول بسبب الخوف والألم وتورم الأنسجة مما يؤدي إلى مزيد من الألم واحتمال تلوث الجهاز البولي، وقد يضيق الثقب عند الشام الجرح بدرجة يتعذر معها خروج البول ودم العادة.

(١) جريدة الصحافة، العدد الصادر بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ الموافق ١٩/٨/٢٠٠٢ م.

(٢) مضاعفات ومخاطر ختان البنات لحسن أبو سبيب وآخرين: (ص ١١)، أمير للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، ط٤، ١٩٩٩ م.

٤ - الولادة: يتحتم في كل حالة للوضوح أن يُستعمل المشرط لتوسيع الفتحة لخروج الجنين، وفي هذا يكون الجرح عرضة لإيواء الميكروبات، مع احتمال تعرض الولادة لأخطار حمى النفاس الجسمية كنتيجة لذلك وربما كان الخطر عليها أعظم من تعسير الولادة الذي قد يتسبب عن العوامل النفسية التي يولدها الخوف من الألم المنتظر من الجرح، وكذلك يؤدي الختان إلى تأخير الولادة، وكثيراً ما يحدث الخوف المهستيري من حبس البول عند الولادة.

٥ - العقم: لقد دلت الإحصائيات التي كانت نتيجة البحث والتحري أن أكثر من ٢٥% من حالات العقم ناتج من جراء فتحة الفرج المسببة من الختان الفرعوني (١). وعليه فإن الختان الفرعوني يؤدي إلى انسداد جزئي لفتحة البول والمهبل والغدد المحيطة بفتحة المهبل لذلك تترام الإفرزات المهبيلة والغددية ونقاط من البول المحتزن وهي كلها تربة خصبة للجراثيم التي تتكاثر وتدخل من خلال عنق الرحم إلى الأنابيب وتؤدي إلى التهابها وبالتالي انسدادها الذي يسبب ثلث حالات العقم (٢).

٦ - تكرار عملية الفتح والرتق في الولادة: إن ضرر استعمال المشرط لتوسيع فتحة الفرج ثم استعمال الإبرة لخطاؤها عند كل ولادة، مما يسبب صدمات عضوية وأخرى نفسانية تستهدف معها حياة الأم لأخطار جسيمة (٣).

٧ - مضاعفات تناسلية بولية أو أمراض نسائية.

٨ - الجذرة (وهي تضخم نسيجي ليني).

٩ - الأكياس الجلدية المغروسة: وهي عبارة عن ورم غير مؤلم يبدأ صغيراً ثم يكبر تدريجياً حتى يصل إلى حجم كرة القدم وقد يتلوث بالجراثيم أحياناً ويصبح خراجاً وتسمى بالأكياس الدهنية عند بعض النساء.

١٠ - التهابات الحوض المزمنة.

(١) مذكرة الختان لمجموعة من المؤلفين: (ص ٣)، والبر التناسلي للدكتور محمد فياض: (ص ٣٠)، وخفاض المرأة للبروفسير فيصل مكي: (ص ٢٣)، بتصرف.

(٢) مجلة طببك والعائلة العدد: (٢٩)، (ص ١٩)، صدرت في مايو ٢٠٠٣م.

(٣) مذكرة الختان لمجموعة من الأطباء: (ص ٣).

- ١١ - تكون الحصى.
 - ١٢ - عسر الجماع أو العجز عنه.
 - ١٣ - يقلل من إشباع الغريزة الجنسية.
 - ١٤ - صعوبة الكشف عن الولادة واستخدام القسطرة.
 - ١٥ - تشويه الفرج الأمامي.
 - ١٦ - فقدان الدم بلا مبرر (١).
 - ١٧ - الإصابة بالناسور البولي: وهو يحدث نتيجة تعرض المرأة لحالة ولادة متعثرة لعدة أيام، دون أن تجد العون الطبي، أو إجراء عملية قيصرية، ويؤدي الضغط المتواصل من رأس الجنين على حوض المرأة إلى وقف تدفق الدم إلى الأنسجة الدقيقة المحيطة بالمثانة والمستقيم والمهبل، وسرعان ما تتلف الأنسجة تاركة ثقباً أو ناسوراً، فإذا كان الثقب يقع بين المهبل والمثانة ستفقد المرأة سيطرتها على التبول، أما إذا كان بين المهبل والمستقيم فإنها ستفقد سيطرتها على التبرز، وإن التدخل الجراحي بوسعه أن يشفي من المرض، ولكن من المؤسف أن معظم المصابات يجهلن إمكانية العلاج من هذا المرض، أو لا يستطعن الوصول إليه أو تحمل تكاليفه، وعندنا في السودان سنوياً يتعرض مائة ألف امرأة لمرض الناسور البولي، والسبب هو الولادة المتعثرة، التي يسببها الختان القرعوني (٢).
 - ١٨ - أذى المستقيم.
 - ١٩ - هبوط الرحم المتأخر.
 - ٢٠ - التهاب المسالك البولية.
 - ٢١ - احتمال موت الطفل لانتظاره الطويل عند مخرج الحوض (٣).
 - ٢٢ - تسمم الدم والإصابة بالتيتانوس والإيدز (في أغلب الأحوال يتم انخفاض جماعياً وتستخدم نفس
-
- (١) خفاض المرأة للبروفيسر فيصل مكي: (٢٢-٢٣٠٥٠).
 - (٢) جريدة أخبار اليوم: (العدد ٣١٢١ ص ٧)، بتصرف.
 - (٣) خفاض المرأة: (ص ٢٣).

المعدات مع عدم مراعاة التعقيم، وحتى لو كان فردياً فقد تتعرض الطفلة للرض نتيجة لتلوث المعدات أو عند نقل دم ملوث لها إذا ما أصيبت بنزيف بعد انخفاض (١).

المطلب الثالث: آثار الختان الفرعوني على الدورة الشهرية وليلة الزفاف والولادة والصحة النفسية

أولاً: آثار الختان الفرعوني على الدورة الشهرية

أسلفت الذكر أن الختان الفرعوني يتم فيه بتر البظر والشفرتين الصغيرين وأحياناً الشفرتين الكبيرين، ثم يُخاط الجرح، وتترك فتحة صغيرة جداً، لذلك نجد أن المرأة أيام الدورة الشهرية تصاب بآلام حادة - من صداع ومغص حاد وتشنج - والسبب في ذلك أن دم الحيض لم يجد سبيلاً إلى الخروج إلا بتلك الفتحة الصغيرة، مما يؤدي إلى امتلاء عنق الرحم والمهبل بالدماء (٢)، وفي هذه الحالة تتراكم بقايا دم الدورة الشهرية والترسيبات البولية في المهبل، فتؤدي الترسبات إلى تكوين الحصوات في المهبل أو التشققات (ناسور) في النسيج الذي يفصل المهبل عن الجهاز البولي، مما يؤدي إلى ترسيب البول والبراز وهي أمور تخلف العديد من المشاكل الاجتماعية للسيدات. وهذا بدوره يسبب التهاب الجهاز التناسلي وانتفاخ البطن، الشيء الذي يثير الظنون، بل يدفع الأمر إلى ارتكاب حماقات قد تؤدي إلى القتل ظناً أن البنت حامل سفاحاً (٣).

ثانياً: آثار الختان الفرعوني على ليلة الزفاف

الليلة الأولى من ليالي الزفاف هي المفتاح الذي إذا عرف الزوجان كيف يستعملانه استطاعا أن يحققا حياة كلها سعادة وهناء، أما إذا أهمل أو استحكم الجهل في التصرف، فإن ذلك يقود إلى عالم تعيش فيه البغضاء، وتسود فيه الغواية والاختلاف. إن الليلة الأولى وما يجري فيها يجب أن ينال الحيز اللائق من

(١) مضاعفات ومخاطر انخفاض: (٣٢).

(٢) المجلة الطبية العدد التاسع: (ص ١١)، إصدار وزارة الصحة الاتحادية عام ١٩٩٥ م.

(٣) البتر التناسلي للإناث للدكتور محمد فياض: (ص ١٢).

اهتمام كل من الرجل والمرأة، أو بمعنى أوضح: العروسين، فللزواج دور مهم كما للزوجة أيضاً. وعلى مقدار حسن التصرف من كليهما تتكون الحياة الجنسية، وترتكز العلاقات الزوجية والعاطفية، فإذا أدركنا أن الثقافة الجنسية تعمم وتفهم، وتستعمل بالشكل الذي يجب أن يكون، وإذا أدركنا أن معظم الزيجات لا زالت حتى الآن تقوم على أسس فاسدة، لعرفنا أهمية الثقافة الجنسية، والدور الذي تلعبه المعرفة في هذا السبيل (١).

ومن الأمور التي يؤكدّها المختصون أن السيدة المختونة (٢) تحدث لها مشاكل جنسية تتمكّن بالضرورة على حياتها الزوجية. وفي الندوة التي أقامتها المنظمة المصرية لحقوق الإنسان في يوم (١١/٣/١٩٩٧م) أشار الدكتور عزيز خطاب إلى أن لديه دراسات تؤكد أن ٤٨-٥٢% من النساء المصريات يعانين من البرود الجنسي بسبب الختان (٣). ويقول الدكتور عبد الهادي إبراهيم: الجنس غريزة كسائر الغرائز الطبيعية التي حبانا الله تعالى بها، كغريزة الأكل والشرب تماماً، وفي هذا يتساوى الذكر والأنثى.

وقد قت باستطلاع لعدد من الشباب الذين كانوا حديثي عهد بالزواج، وكانت إجاباتهم على النحو التالي:

قال الشاب (س ب ع): في أيام الزفاف الأولى ولياليه عانيت كثيراً من جراء اختتان الفرعوني، بسبب ضيق فتحة المهبل التي تصعب معها العملية الجنسية.

وقال الشاب (أ م ع): لم أستطع أن أفعل شيئاً إلا بعد أن ذهبت إلى الطبيب، فقام بإجراء عملية جراحية لتوسيع فتحة المهبل.

أما الشاب (ع ه ر): فكانت إجابته أنه في أول ليلة من ليالي الزفاف عانى كثيراً بسبب ضيق فتحة المهبل، وقال: هذا متعب للزوجة، ويجعلها تبغض زوجها، والسبب في ذلك هو اختتان اللعين.

قال الشاب (ع أ ح): في أول ليلة تعبت جداً لضيق فتحة المهبل، مما أدى إلى أذى الزوجة، وكان اختتان الفرعوني سبباً للكراهية بيننا.

(١) تحفة العروس لعزیز العطار وأحمد الشهاوي: (ص ٢٦١-٢٦٢).

(٢) بخلاف الختان الشرعي، لأن الختان الشرعي ليس فيه أي ضرر أو آثار على المرأة.

(٣) البتر التناسلي للإناث: (ص ٣٢)، والمقصود الختان غير الشرعي.

وقال الشاب (ل إ ي): إن الختان الفرعوني جريمة خطيرة، وفي تلك الليلة لاحظت خوفاً شديداً من الطرف الآخر، وحصل تزيف حاد أثناء اللقاء الجنسي.

أما الشاب (م أ ج): فذكر أنه في أول ليلة لم يستطع أن يفعل شيئاً لضيق فتحة المهبل، وخوف الزوجة، وبعد أسبوع تمكن من فض البكارة، وكانت تلك ليلة سوداء بالنسبة له بسبب هذا الختان اللعين، وقال: لذا ننصح جميع الآباء والأمهات بأن لا يفعلوا هذا الختان الفرعوني لبناتهم حتى لا يتعرضن للآلام الحادة والالتهابات.

وقال الشاب (ف ع ع): في الليلة الأولى عانيت كثيراً لصعوبة العملية الجنسية، والسبب هو ضيق فتحة المهبل، بسبب الختان الفرعوني.

ثالثاً: آثار الختان الفرعوني على الولادة

المراة في فترة الولادة تكون في حالة خطيرة جداً، فعندما تكتمل فترة نمو الجنين داخل الرحم، ويتم الأجل الذي حدده الله تعالى لخروجه إلى عالم الدنيا، ينزل من الرحم إلى الحوض، ومن ثم إلى الخارج، وسرعان ما يفاجأ بذلك السد المتين - خياط الختان الفرعوني - وفتحة المهبل ضيقة لا تسمح بخروجه، فتقوم القابلة أو الطبيب باستخدام المشروط لتوسيع تلك الفتحة، حتى يخرج الطفل، وهذا فيه من العذاب ما لا يعلم به إلا الله ﷻ، ولو كانت المرأة في منطقة نائية، أو تأخر إسعافها ربما أدى ذلك لوفاها.

وقد بينا في ثنايا هذا البحث، أن الغدد التي حول الشفرين لها خاصية إفرازية تساعد على ترطيب المهبل لسهولة الإيلاج، كذلك تقوم بهذه الإفرازات، ويتسع المهبل، لتسهيل خروج الطفل كما قال المولى ﷺ: ﴿ثُمَّ السَّيْلُ يَسْرُهُ﴾ [عبس: ٢٠]، قال ابن عباس: ((يسر خروجه من بطن أمه)) (١)، ولكن نحن عسرنا خروجه، والله المستعان.

ويتحتم في كل حالة للوضع أن يستعمل المشروط لتوسيع الفتحة لخروج الجنين، وهذا فيه التعرض لإيذاء الميكروبات بهذا الجرح، مع احتمال تعرض الولادة لأخطار حمى النفاس الجسمية كنتيجة لذلك، وربما كان

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٤٧٣).

الخطر عليها أعظم من تعبير الولادة الذي قد يتسبب عن العوامل النفسية التي يولدها الخوف من الألم المنتظر من الجراحة، وأحياناً تصاب المرأة بالتيتانوس نتيجة لهذا الجرح، ومن المؤسف أن هذا المسلسل يستمر في كل ولادة، يخاط هذا الجرح ثم يفتح مرة ثانية وهكذا.

رابعاً: آثار الختان الفرعوني على الصحة النفسية

يؤكد جميع أساتذة علم النفس على أن الختان (الفرعوني^(١))^(٢) يتسبب في عدد كبير من المضاعفات والمشاكل النفسية، خصوصاً إذا تمت عملية الختان في سن متأخرة تكون فيها الفتاة في حالة كافية من الإدراك والوعي الكامل بكل ما يحدث لها، وذلك يسبب لها الإحساس بالقهر والقمع والشعور بالنقص، لأنها تشعر أن هذا العضو الذي تم بتره من جسدها (سبة) يجب التخلص منه، مما يؤثر على اعتزازها بكرامتها وأتوثها، وإذا استطعت أن تتخيل قناعتهم بأنهم إنما يقطعون جزءاً فاسداً قدراً لن يسعد به إلا الشيطان فيمكنك حينئذ أن تعرف القسوة التي يتعاملون بها مع أعضاء الفتاة التي ساقها مقاديرها لتفتح لهم ساقها يشوهونها ويخدشون كبرياءها... ولا بد أن تتدخل نحن لنساعد ونجبره على الفضيلة، ولا يدرك آخرون أن هذا الإحساس يمكن أن يتحول أحياناً في المستقبل إلى تيار جارف بالغضب أو على النقيض فيصبح إحساساً بالدونية، وفي كلتا الحالتين تخفي مشاعر الأنوثة الطبيعية ببراءتها ورقتها وتلقائيتها^(٣).

وقد أشارت نتائج دراسات الدكتور طه بعشر وآخرين عام ١٩٧٩م، أن معظم النساء اللائي يترددن على العيادات النفسية، أجريت لهن عملية الخفض الفرعوني، وترى هذه الدراسة أن الجرح النفسي، أشد وطأة من الجرح العضوي بعد الخفض، بالنسبة للطفلة مباشرة تحدث الصدمة والإحباط، ثم الذكريات المؤلمة التي تعلق في أذهانهم، تتحول إلى آثار جسمية، وتنعكس عليها سلبياً، في تعاملها مع زوج المستقبل، إما الخوف أو الشعور بالبرود الجنسي، ومن ثم فقدانها لصفة الأنثى. وعلى ضوء ذلك تحد حركة الفتاة وتنقسم

(١) زيادة من الباحث.

(٢) البتر التناسلي للإناث: (٣١-٣٢).

(٣) خفض الإناث وآثاره على صحة المرأة للدكتورة أمنة عبد الرحمن: (ص ٧-٨)، إصدار جمعية محاربة العادات الضارة - الخرطوم.

تصرفاتها بالاحتشام والخجل، وانعدام الثقة بالنفس، والشعور بالقهر والنقص، وبسبب هذه العوامل يختل نموها الطبيعي.

المبحث الرابع: حكم الختان الفرعوني وعقوبته وشبهة المتمسكين به
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم الختان الفرعوني

الختان الفرعوني جريمة كبيرة في حق النساء، بل أقول إنها قضاء على أنوثتهن، وقال الحاكم الإنجليزي: "ولقد عرفت من دراستي لتواريخ الاجتماع في البلاد الأخرى، ومن اعتقادي الشخصي، أنه لن يتأقن للسودانيين نهضة حقيقية متكافئة للجوانب إلا إذا أبطلت هذه العادة - فالعربة التي يجرها اثنان من الخيل لن تسير سيراً سريعاً مثلاً إذا كان أحدهما أعرج - وبالمثل فإن الفارق الحالي بين مكانة الرجال والنساء لن يسمح للسودانيين أن يتقدموا إلا بخطى متعثرة ويعوقهم من الوصول إلى الهدف الذي لن يصلوا إليه إلا بمجهود الجنسين المشترك، ولقد أفزعني التقارير التي وصلتني عن كيفية عملية الختان الفرعوني، التي تعمل للبنات الصغار البريئات، وعن الأضرار البدنية والعقلية التي تسببها لهن وتبقى معهن مدى الحياة. إن استمرار هذه العادة البشعة لجريمة على الإنسانية لا تليق بشعب متنور، أضف إلى ذلك منافاتها مع تعاليم دينكم الذي يحظرها باعتبارها تشويهاً يجب أن يمنع بتاتاً، وقد جاء ذلك في فتوى أصدرها مفتي الديار السودانية منذ خمس سنوات وأيدها المفتي الحالي في فتوى أخرى تجدون نصها أدناه. ولقد طلبت بقصد الحصول على رأي المسؤولين في المصلحة الطبية، من بعض الأطباء السودانيين والبريطانيين، ذوي الخبرة، أن يضعوا مذكرة يشرحون فيها عملية الخفاض الفرعوني، ويدلون فيها بآرائهم الحرة عن نتائجها، وقد أمرت بأن يكون هذا الموضوع ضمن المواضيع التي تعرض على ممثليكم للداولة فيها في الدورة الآتية للجلس الاستشاري لشمال السودان. وبهذا أطلب منكم أن تقرأوا هذه المذكرة، وتقرروا بأنفسكم ما إذا كان الوقت قد أتى لإبطال عادة

الخطاف الفرعوني نهائياً“ (١).

هذا كلام الحاكم العام النصراني، علم أن الختان الفرعوني يمنعه دين الإسلام، وفي ما يلي نذكر النصوص التي تحرم هذه العادة:

١- قول الله تعالى في شأن الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا ضَلَّةَ لَهُمْ وَلَا مَيْتَنَّهُمْ وَلَا مَرْتَنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ إِذَا ذَاكَ الْأَنْفَعِ وَلَا مَرْتَنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

قال القرطبي: ”في قوله تعالى: «فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ» اللامات كلها للقسم، واختلف العلماء في هذا التغيير إلى ماذا يرجع، فقالت طائفة: هو الخصاء، وفقء الأعين، وقطع الآذان، قال معناه ابن عباس وأنس وعكرمة وأبو صالح، وذلك كله تعذيب للحيوان وتحريم وتحليل بالطغيان“ (٢).

وقال ابن كثير: ”«فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ»، قال ابن عباس: يعني بذلك خصاء الدواب، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: يعني بذلك الوشم، وفي الحديث النهي عن الوشم في الوجه، وفي لفظ: لعن الله من فعل ذلك“ (٣).

أقول: إذا كان تغيير خلق الله، هو خصي الدواب، وفقء الأعين، وقطع الآذان، والوشم، فيدخل الختان الفرعوني بقياس الأولى، لأنه تعذيب للإنسان، والإنسان أشرف من الحيوان.

٢- وقوله ﷺ: ((لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَأْثِمَةَ وَالْمُسْتَوْثِمَةَ)) (٤)، والوشم هو: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل، أو نيل فيزرق أثره أو يخضر، وقد وشمّت تشم وشمّاً فهي واثمة والمستوشمة والموتشمة التي يفعل بها ذلك (٥).

إذا لعن رسول الله ﷺ الواثمة والمستوشمة دل ذلك على التحريم، والوشم أخف من الختان الفرعوني فتحريمه من باب أولى، والتحريم بقياس الأولى معروف عند الأصوليين، قال في المعتمد ”في قوله تعالى:

(١) مقدمة الحاكم العام في مذكرة الختان.

(٢) تفسير القرطبي: (٣٨٩/٥)، تحقيق أحمد عبد العظيم البردوني - دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢ هـ.

(٣) تفسير ابن كثير: (٥٥٧/١) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري: (٢١٣/٧)، باب المتفطحات للحسن برقم: (٥٩٣٧).

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١٨٨/٥).

﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَنَّا أَمْرٌ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يمنع من ضربهما من جهة قياس الأولى، يقول: إنه إذا منع من اليسير فالأولى أن يمنع من الكثير قائم في دليل الخطاب لأنه ليس هو استدلال باليسير على الكثير^(١). وجاء في بدائع الصنائع: "وتحريم الأدنى تحريم الأعلى من طريق الأولى كالتأفيف مع الضرب والشم^(٢)". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك قياس الأولى، وإن لم يدل عليه الخطاب، لكن عرف أنه أولى بالحكم من المنطوق، بهذا فإنكاره من بدع الظاهرية التي لم يسبقهم بها أحد من السلف، فما زال السلف يحتجون بمثل هذا وهذا"^(٣).

٣- وقوله ﷺ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ))^(٤).

ووجه الدلالة أن الضرر منهي عنه وأنه محرم، والختان الفرعوني ضرر محض للمرأة، لما فيه من الأخطار والآلام، لذلك فهو محرم يجب تركه.

المطلب الثاني: عقوبة الختان الفرعوني في الفقه والقانون

أولاً: عقوبة الختان الفرعوني في الفقه

الختان الفرعوني من الجرائم الواقعة على ما دون النفس، إذ هو استئصال للبظر والشفرين الصغيرين وأحياناً الشفرين الكبيرين، وعقوبة هذه الجريمة في الفقه الإسلامي هي القصاص إذا كان الفاعل أثنى، ومحل القصاص منها موجود، وإلا فعليها الدية، وإذا كان الفاعل رجلاً ففيها الدية. جاء في البحر الرائق: "وإذا ضرب فقطع فرج امرأة وصارت بحال لا يمكن جماعها ففيه الدية ... وكذا

(١) المتعمد لمحمد بن علي أبي الحسين: (١٥٩/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.

(٢) بدائع الصنائع للكاساني: (١٩٧/٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢ م.

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٠٧/٢١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٦٦/٢) برقم: (٢٣٤٥)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان - ط ١، ١٤١١ هـ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال أبو داود: هو أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه. انظر: خلاصة البدر المنير لابن الملقن (٣٤٨/٢)، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي بجمعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به. انظر: فيض القدير للناوي: (٤٣٢/٦)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط ١، ١٣٥٦ هـ.

لو قطع فرجها من الجانبين حتى وصل إلى العظم وإن قطع أحدهما ففيه نصف الدية“ (١).
وجاء في حاشية الدسوقي: ”وقد نصوا على وجوب الدية فيهما“ (٢)، أي: الشفرين.
وجاء في الأم: ”وجعلنا لك حكومة في الشفرين وإن بنت أنثى فلا قود لك عليه وجعلنا لك دية امرأة
تامة في الشفرين“ (٣).

وجاء في الوسيط: ”إن كان القاطع امرأة فلا تقدر دية الشفرين لإمكان القصاص فيه“ (٤).
وجاء في كشف القناع: ”(وفي إسكيتي المرأة) بكسر الهمزة وفتحها (وهما) أي إسكاتها (اللحم المحيط
بالفرج من جانبيه إحاطة الشفتين بالقم وهما شفراها) وقال أهل اللغة الشفران حاشيتا الإسكيتين (الدية)
لأن فيهما منفعة وجمالاً وليس في البدن غيرها من جنسهما (وفي إحداها نصفها وسواء كانتا غليظتين أو
دقيقتين قصيرتين أو طويلتين من بكر أو ثيب صغيرة أو كبيرة مخفوضة أي محتونة أو غير مخفوضة ولو من
رتقاء) وإن أشلهما ففيهما الدية“ (٥).

وإذا كبرت الطفلة وطالبت بحقتها في جريمة اختان فلها ذلك، إما القصاص وإما الدية.
ولكن المشكل أن اختان فيه رضئ أولياء البنت، فهل الرضى مانع من موانع القصاص؟
ويرى أبو حنيفة وأصحابه أن الإذن بالقطع والجرح، يترتب عليه منع العقوبة (٦).
وذهب مالك أن الإذن بالجرح والقطع لا عبرة به، إلا إذا استمر مبرئاً له بعد الجرح والقطع، فإن لم
يبرئه بعد الجرح والقطع، ففيه العقوبة المقررة وهي القصاص أو الدية (٧).
وذهب الشافعي إلى أن الإذن بالجرح أو القطع يسقط العقاب عن الجاني، ما لم تر الجماعة عقابه

(١) البحر الرائق لابن نجيم: (٣٥٠/٨).

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: (٢٧٨/٤)، تحقيق: محمد عlish - دار الفكر، بيروت.

(٣) الأم للإمام الشافعي: (١٢١/٦)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ.

(٤) الوسيط للزالي: (٢٧٨/٦)، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم وآخرين - دار السلام - القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ.

(٥) كشف القناع للبهوتي: (٤٩/٦).

(٦) انظر: بدائع الصنائع للكاساني: (٢٣٦/٧-٢٣٧).

(٧) الشرح الكبير للدرديرة: (٢١٣/٤)، تحقيق: محمد عlish - دار الفكر، بيروت.

تعزيراً^(١).

ومن القواعد الأصلية المسلم بها في الشريعة، أن رضئ المجني عليه بالجريمة لا يجعلها مباحة، إلا إذا كان الرضئ ركناً من أركان الجريمة، كالسرقة مثلاً، فإن رضي المجني عليه بأخذ ماله يجعل الأخذ فعلاً مباحاً، والرضئ ليس ركناً من جريمة القتل والضرب، فتطبيق هذه القاعدة المسلم بها يقتضي أن لا يكون لرضئ المجني عليه في جريمة الضرب والقتل أثر ما على المسؤولية الجنائية، أو العقوبة، ولكن هنالك قاعدة أخرى أصلية مسلماً بها، وهي أن للمجني عليه وأوليائه حق العفو عن العقوبة في جرائم القتل والضرب، فلهم أن يعفوا عن القصاص إلى الدية، ولهم أن يعفوا عن القصاص والدية معاً، فلا يبقى إلا تعزير الجاني إن رأت السلطة التشريعية ذلك^(٢).

وقد اتفقت القوانين الوضعية مع مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، على أن الرضئ بالقتل أو الجرح الذي ينتهي بالموت يعاقب عليه الجاني، لأنها تعتبر القتل والجرح بالرغم من الرضئ أو الإذن جريمة وتعاقب عليها^(٣).

ويمكن القول بأن الطفلة إذا ماتت من جراء الختان، فديتها على عاقلة خاتمتها، وهذا قضى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٤).

وعليه نقول: إن عقوبة الختان الفرعوني هي التعزير، لأن الرضئ والإذن يسقطان القصاص والدية. والتعزير هو: العقوبة على جنائية لا حد فيها، وهو واجب على كل معصية لا حد فيها ولا كفارة، وهو من حقوق الله تعالى، لا يحتاج في إقامته إلى مطالبة، وقد أجمع الصحابة عليه^(٥). ومسألتنا هنا عندما سقطت فيها العقوبة المقررة، برضى ولي المجني عليها أو إذنه، فننتقل العقوبة إلى

(١) نهاية المحتاج للرملي: (٢٤٨/٧)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة: (٨٣/٢)، مؤسسة الرسالة، ١٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق: (٨٦/٢ - ٨٧).

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة: (٤٢٠/٥)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٥) انظر: المهذب للشيرازي: (٢٨٨/٢)، دار الفكر - بيروت، بدون، والمبدع لابن مفلح: (١٠٨/٩)، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠هـ، وتحفة الأحوذى للباركهوري: (٢٦/٥)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

التعزير. وعلى الحاكم أن يعزر الجاني بما يردعه، ويمنع جنايته، ويحقق المصلحة العامة للمجتمع. والختان الفرعوني جريمة فيها حقان: حق الله تعالى، وحق العبد، فإذا عفا العبد عن حقه - القصاص أو الدية - فإن حق الله تعالى لا يسقط، وهو العقوبة في الآخرة، إن شاء عذب بها وإن شاء عفا عنها، والله تعالى أعلم.

ثانياً: عقوبة الختان الفرعوني في القانون الجنائي

مراحل تدخل القانون في مسألة الختان:

في سنة ١٩٢٤م رُفِعَ هذا الأمر إلى الحاكم العام بغية معالجته بإصدار فتوى شرعية، وذلك بمذكرة من مدير المخابرات، ومدير الخدمات الطبية، ولكن لم تصدر تلك الفتوى، حيث تجنب العلماء وقتها التطرق للموضوع أصلاً، بحجة أنه معلوم بالضرورة، وأن الخلفاض الفرعوني ليس من الأمور التي أمرت بها الشريعة. واستمر الحال هكذا حتى سنة ١٩٣٠م حيث كتب حاكم مديرية كردفان خطاباً للحاكم العام ينادي فيه بسن قانون يمنع الخلفاض بالنسبة لغير المسلمين، وذلك عندما لاحظ أن بعض القبائل غير المسلمة قد صارت تقلد بعض القبائل المسلمة في هذه الممارسة، ولكن لم يصدر قانون، وصار الاهتمام بالموضوع متزايداً، حتى بلغ الأمر أنه في نفس سنة ١٩٣٠م هاجم أحد نواب البرلمان من الإنجليز ممارسة الخلفاض في السودان، وحث الحكومة في السودان على إصدار قانون يمنع الخلفاض بين جميع السودانيين. ولكن حكومة الإنجليز في السودان كانت تفضل عدم التدخل في هذا الأمر نهائياً خوفاً من إثارة المواطنين ضدها وتهديد استقرار الحكم (١).

وهكذا ظل الرأي يتطور ويأخذ إطاراً منظماً ضد الخلفاض، ويتجه إلى اتخاذ خطوات إيجابية لمنع، حتى أصدر الشيخ أحمد الطاهر مفتي الديار السودانية آنذاك فتوى ضد الخلفاض (الفرعوني) وأيد الختان الوارد في السنة، ووافقه عليها السيدان علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي (٢).

وقد بلغ النشاط ضد الخلفاض ذروته عندما قام المجلس الاستشاري لشمال السودان بمناقشة إصدار

(١) منتدى حوار: «نحو إطار قانوني لمحاربة ختان الإناث»، للقاضي محمد صديق محمد صالح: (ص ١).

(٢) انظر: مقدمة مذكرة الختان: مجموعة مؤلفين، (ص ١-٣).

قانون لمنع الخفاض، وحضر الجلسة كل زعماء القبائل الأعضاء وشيوخهم، بالإضافة لأعضائه الآخرين، وقد نتج عن ذلك صدور تعديل بالمادة «٢٨٤أ» والتي تقرأ: «كل من سبب الأذى عمداً لأعضاء المرأة التناسلية الخارجية يرتكب الخفاض غير المشروع، ما خلا الظرف المبين أدناه: لا تعتبر إزالة الجزء المتفصل البارز من البظر جريمة إذا وافقت على ذلك المرأة أو ولي أمرها، إذا كانت دون سن الرشد - كل من ارتكب جريمة الخفاض غير المشروع يعاقب بالحبس مدة يجوز أن تمتد إلى سبع سنوات ويكون عرضة للغرامة»؛ تفسير: إذا سببت المرأة هذا الأذى لنفسها تعتبر مرتكبة جريمة الخفاض غير المشروع (١).

وفي سبتمبر ١٩٨٣ م تم إلغاء قانون العقوبات لسنة ١٩٧٤ م، وفي تلك السنة والشهر صدر القانون الجديد لسنة ١٩٨٣ م خالياً من أي إشارة صريحة للخفاض.

ونجد أن المادة «٢٧٢» من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ م قد عرفت جريمة الجراح وقطع الأعضاء على النحو التالي: يعتبر قطعاً لعضو كل أذى يؤدي إلى: إزالة عضو من أعضاء الجسم، أو إلى تعطيله كلياً أو جزئياً أو إزالة القدرة على الجماع، أو إزالة أي منفعة للبدن أو لعضو منه كلياً أو جزئياً (٢).

وقد نصت المادة «٢٧٨» من نفس القانون على العقوبة، وهي الدية الكاملة على قطع عضو من الأعضاء الفردية بالجسم، وعند الإزالة الجزئية تقدر الدية حسب نسبة زوال المنفعة، وحيث إن الثابت طبيّاً أن العضو الجنسي الخارجي للمرأة يتكون من ثلاثة أعضاء، أحدها فردي وهو البظر، واثنان زوجيان، وهما الأثنيان الكبيران والأثنيان الصغيران، فإن إزالتهما أو إزالة أي منهما يعاقب عليه بالدية حسب ما هو منصوص عليه (٣).

إذن من حيث النظرية فقد كان الخفاض واقعاً ضمن ما هو معاقب عليه بالنص المشار، ولكن ما هو الواقع العملي؟

واستقر الحال هكذا حتى أُلغي قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ م وصدر القانون الجنائي لسنة ١٩٩١ م،

(١) انظر: قوانين السودان لسنة ١٩٧٤ م، قانون العقوبات: (١١٦/٩).

(٢) قانون العقوبات السوداني لسنة ١٩٨٣ م: (ص ٢٥)، إصدار ديوان النائب العام.

(٣) قانون العقوبات السوداني لسنة ١٩٨٣ م: (ص ٣٢).

والذي حافظ على نفس الوضع السابق بكل ما هو مأخوذ عليه، ولكن العقوبة المقررة لم تعد هي الدية فقط، بل نص القانون وهو القانون الساري الآن في المادة «٣٠ الفقرتين ٣-٤» على الآتي: «إذا قطع الجاني ثلاث محال أو أكثر من مجني عليه واحد أو مجني عليهم متعددين، وكانت جميعها موجبة للقصاص جاز أن يقتص منه بما قطع أو يحكم عليه بالإعدام» (١).

إذن هذا هو الحال الذي وصل إليه العقاب على الأفعال المشكلة للخفاض (الفرعوني) دون إشارة صريحة لها، حيث وصلت لحد الحكم بالإعدام، ولكن دون تطبيق (٢).

أقول: كان ينبغي أن توضع مادة صريحة تعاقب على اختلان الفرعوني في القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، لأن اختلان الفرعوني يعد جريمة نكراء في شأن الإناث، ولها آثار ضارة بصحة الأنثى، لا تحصى على ذي لب، فلماذا يجهلها القانون؟

وإن مجرد صدور قانون ليس هو الهدف النهائي، بل لا بد أن تتم المتابعة لتنفيذه وتوعية الناس به وبأهدافه، لذا لا بد من التفكير في إمكانية خلق آليات رسمية أو طوعية لعمل الآتي:

- التبليغ عن حالات الخفاض (الفرعوني) التي تتم، وذلك لاتخاذ الإجراءات ضد مرتكبيها
- تقديم الاستئنافات أو الشكاوى ضد حالات سوء تطبيق ذلك القانون، أو الخطأ في تفسيره، وذلك لضمان نجاح التجربة
- الاستفادة من كل وسائل الدعاية لتعليم المجتمع عن نصوص القانون، وعن الإجراءات القانونية التي يمكن عن طريقها حماية الحقوق التي نص عليها القانون
- البحوث الاجتماعية والقانونية باقتراح التعديلات أو الإضافات لذلك القانون (٣)

(١) القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م: (٢٤)، إصدار ديوان النائب العام.

(٢) منتدى حوار: نحو وضع إطار قانوني لمحاربة ختان الإناث للقاضي محمد صديق: (ص ٢-٣).

(٣) منتدى حوار: نحو وضع إطار قانوني لمحاربة ختان الإناث: (ص ٥).

المطلب الثالث: شبهة المتسكين باختتان الفرعوني

يتمسك بعض الناس، من الرجال والنساء، بالختان الفرعوني، ويزعمون أنه من وسائل عفة الفتاة، ويمنعها من ارتكاب الفواحش، والممارسات الشاذة، وأن الفتاة إذا لم تحتن بهذا الختان، تكون منبعاً للفساد والرذيلة، وتكون منبوذة في المجتمع، وفي الحقيقة هذا كلام عارٍ عن الصحة تماماً، والواقع يشهد بذلك، وإنما تكون العفة بالتربية الإسلامية الرشيدة، ومن الأسباب التي دفعت لممارسة الختان الفرعوني الآتي:

- الاحتفالات القبلية والمراسم والطقوس
- قبول الطفلة في عالم المرأة
- المحافظة على تقاليد القبيلة
- السماح لها بالدخول إلى المسجد (في بعض الدول الآسيوية والإفريقية)
- اكتساب حق الدخول في عالم المرأة الناضجة (١)

ومما نؤكد عليه أن عفة المرأة لا تكون ببتز أعضائها التناسلية، وإنما تكون بأمر كثيرة نذكر منها:

١- التربية الإيمانية: فالشريعة الإسلامية تربي تقوى الله في قلوب المؤمنين، وتثبت في أذهانهم أن على المؤمن الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الله تعالى يرى ويسمع ويعلم كل ما يفعله العباد، وتربي الشريعة الإسلامية نفوس المؤمنين مع إرشادهم للتدابير الوقائية الأخرى، بحيث يكون لكلٍ منهم وازع من داخل نفسه وضميره يحول بينه وبين الانغماس في الشهوات وارتكاب المعاصي، لاعتقاده الراسخ أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو عليم بذات الصدور (٢).

٢- الاستقامة على المنهج الرباني: هذا المنهج من لدن حكيم خبير، وهو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه في المعاش والمعاد: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وهذا المنهج سار عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام والذين اتبعوهم بإحسان، وهو باقٍ إلى قيام الساعة. وإن فعل الطاعات عاصم من

(١) خفاض المرأة للذكور فيصل محمد مكي: (ص ٥٠).

(٢) التدابير الوقائية من الزنا للذكور فضل إلهي: (ص ٢٢٦)، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

قوامم الشهوات، ومن ذلك الصلاة فقد قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١) **إِيتِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴿١٥﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وكذلك الصيام يقود الإنسان إلى التقوى كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]. وكذلك أوصى رسول الله ﷺ الشباب، عند العجز عن الزواج، بالصيام فقال: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))^(٢).
٣- الزواج: هو من أفضل طرق العفة، لذلك كان الزواج في الإسلام الطريق الإنساني الأخلاقي الأوحد، الذي يؤدي إلى الإشباع الجنسي للفرد من غير إضرار بالمجتمع ... بل كان الواحة الطبيعية التي تجمع بين الرجل والمرأة، ويمنحهما الراحة النفسية والحسية^(٣). وعلى الشباب المسارعة بالزواج المبكر، وكسر الحواجز والعراقيل التي أدت لتأخير الزواج عند كثير من الشباب والفتيات، مثل المغالاة في المهور وتكاليف الزواج، وحجة إكمال الدراسة عند كثير من الفتيات، والطلبات المرهقة من قبل أهل الفتاة، وغير ذلك. وأيضاً لا بدّ للشباب من اختيار الزوجة الصالحة التي تكون عوناً لزوجها في أمور الدين والدنيا، وخاصة الدور المشترك في تربية الأولاد، وفق المنهج الرباني، الذي يربي الفرد والمجتمع تربية متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط.

٤- الاهتمام بالحجاب الشرعي: الذي بقي المجتمع من الفتن والشُرور، والحجاب المطلوب هو الذي يستوعب جميع بدن المرأة بما في ذلك الوجه والكفان، وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً في حكم غطاء الوجه والكفين، فمنهم من أوجبه ومنهم من استحبه، والراجح من قولهم أنه واجب، للأدلة الكثيرة المتوافرة على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرِقَنَ فَلَا يُؤْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦١﴾ [الأحزاب: ٥٩]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن

(١) أخرجه مسلم: (١٠١٨/٢)، كتاب النكاح برقم: (١٤٠٠).

(٢) الإسلام والجنس لفتحي يكن: (ص ٢٩-٣٠)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

من فوق رؤوسهنّ بالجلايب ويدين عينا واحدة، وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله ﷻ: ﴿يَذْنِبْنَ عَلَىٰ نَفْسِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾، فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى (١). وقال ابن قتيبة: يلبسن الأردية، وقال غيره: يغطين رؤوسهنّ ووجوههنّ ليعلمنّ أنهنّ حائض، وذلك أدنى أي أخرى وأقرب أن يعرفنّ أنهنّ حائض فلا يؤذين (٢). ونذكر هنا وجهاً واحداً من وجوه ترجيح وجوب غطاء الوجه والكفين خوفاً من الإطالة: أن الأصل في الوجه والكفين الكشف، لأن الفتاة منذ ولادتها تكون كاشفة الوجه والكفين، ولا تؤمر بالتغطية إلا بعد البلوغ، إذن الأدلة التي أمرت بغطاء الوجه والكفين ناقلّة عن الأصل، وهو الكشف، ومن المعروف عند الأصوليين في وجوه الترجيح، يقدم الدليل الناقل عن الأصل على الدليل المتي على الأصل، لأن الدليل الناقل فيه زيادة علم، ويفيد حكماً شرعياً ليس في الآخر (٣)، والله تعالى أعلم.

٥ - البعد عن الاختلاط بين الرجال والنساء: لأنه سبب لقلّة الحياء، وتأجيج نار الشهوة، فقال ﷺ: «خير مساجد النساء قعر بيوتهنّ» (٤)، وقال موجهاً النساء: «لَا تُحَدِّثَنَّ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا حَرَمًا» (٥). وأيضاً فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كان يأمر بفصل حياضهنّ للوضوء عن حياض الرجال» (٦)، وكان يقول: «لا تدخلوا المسجد من باب النساء» (٧)، وذلك لأن النبي ﷺ خصّص لمن ذلك الباب، وقال: «لَوْ تَرَكَآ هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ» (٨). وإن كان هنالك ثمة ضرورة أو حاجة لمخالطة الرجال، فلا بدّ من التزام الآداب الإسلامية والضوابط الشرعية، تَكْرُجُ النساء للسوق أو السفر أو التعليم ونحو ذلك،

(١) تفسير ابن كثير: (٥١٩/٣).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي: (٤٢٢/٦)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: اللع للشيرازي: (٨٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، وإرشاد الفحول للشوكاني: (٤٦٣/١).

(٤) أخرجه ابن خزيمة: (٩٢/٣)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٥) كنز العمال للهندي: (٤٠٠/١٦)، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م.

(٦) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني: (٧٥/١)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(٧) رواه أبو داود: (١٨٠/١)، باب في اعتزال النساء رقم: (٤٦٤)، وقال الشيخ الألباني في صحيح السنن: «ضعيف».

(٨) رواه أبو داود: (١٢٦/١)، باب في اعتزال النساء في المساجد رقم (٤٦٢)، وقال الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢/١): «صحيح».

فعدتد لا بد من البعد عن ملاصقة الرجال والاحتكاك بهم، حتى لا يتعرض لما لا تحمد عقباه.

٦- محاربة الوسائل التي تدعو إلى الرذيلة: مثل الأفلام المدمرة والمواقع المشبوهة، والمجلات الخليعة، والقنوات الفاضحة، والدعايات المغرضة، التي تدعو إلى التعري والسفور، وكذلك محاربة الأغاني الماجنة التي تحرك الكوامن وتزعج القواطن، وكان السلف ﷺ يقولون: "الغناء رقية الزنا" (١). وقال ابن القيم ﷺ: "والغناء أشدّ لهواً وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم، فإنه رقية الزنا ومنبت النفاق، وشرك الشيطان وخمرة العقل، وصدّه عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل، لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه" (٢).

٧- التكافل الاجتماعي: قد يقال إن الفقر من الدوافع التي تدفع المرأة لارتكاب الفاحشة، لأنها إذا لم تجد ما تسدّ به جوعها اضطرت إلى بيع عرضها، وقد عالج الإسلام هذه المشكلة وقدم حلولاً لا يبق معها من يضطر إلى ارتكاب الفاحشة لسد جوعه، ومن هذه المعالجات: مسؤولية الأقارب عن الإنفاق على الفقير من الصدقة والزكاة، وكذلك مسؤولية الدولة تجاه الفقراء، فعلياً رعايتهم وسد خلتهم، حتى لا يضطروا إلى الانحراف والالتزاق في الرذيلة (٣).

الختامة

الحمد لله على التمام في البدء والختام والدوام، ثم الصلاة والسلام على النبي وصحبه الكرام، ومن سار على نهجهم، وعلى دربهم استقام.

أما بعد ... ففي ختام هذا البحث أشكر الله تعالى، أن وفقني لإكمال هذا الموضوع الكبير، وأحسب أنني قد قصرت فيه ولم أوفه حقه، وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عني، وأقول لكل من يطلع على هذا البحث ألا يجزل علينا بالنصح والتوجيه والتصويب، فكلنا ذو خطأ، ولا عصمة إلا لله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد ذيلت هذا البحث بأهم النتائج والتوصيات:

- (١) انظر: صحيح مسلم: (٦٠٧/٢)، باب الرخصة في اللعب برقم: (٨٩٢).
- (٢) إغاثة اللهفان لابن القيم: (٢٤٠/١)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (٣) التداير الواقية من الزنا للدكتور فضل إلهي: (ص ٢٢٩-٢٣٤ بتصرف واختصار).

أولاً: أهم النتائج

- ١ - التعريف الاصطلاحي لختان الإناث هو: قطع أدنى جزء من جلدة أعلى الفرج وهي قلفة البظر، وهذا النوع ليس فيه أية آثار ضارة بصحة الأنثى.
- ٢ - والختان الفرعوني هو: قطع البظر والشفيرين الصغيرين وجزء من الشفرين الكبيرين ويخطأ الجرح، وترك فتحة صغيرة لخروج البول ودم الحيض، وهو ضار جداً بصحة الأنثى، وكل المشاكل الزوجية ناجمة عنه.
- ٣ - الختان المشروع للإناث له فوائد كثيرة منها: ذهاب الشبق الجنسي وتعديل الشهوة، ومنع الالتهابات التي تسببها الإفرازات التي تجتمع تحت القلفة، وانخفاض حدوث السرطان، والراحة النفسية والمتعة الجنسية للزوجين، وغير ذلك من الفوائد.
- ٤ - قد يتسبب الختان الفرعوني في العقم، وقد دلت الإحصاءات التي كانت نتيجة للبحث والتحري أن أكثر من ٢٥% من حالات العقم ناتج من جراء تضيق فتحة المهبل.
- ٥ - الختان الفرعوني جريمة، لها عقوبة في الشريعة والقانون، ففي الشريعة عقوبتها القصاص أو الدية، وللطفلة إذا كبرت أن تطالب بحقوقها، وأيضاً فيها التعزير، وعقوبتها في القانون كانت الدية أو السجن كما في قانون ١٩٢٥م و ١٩٤٩م و ١٩٧٤م.
- ٦ - إن عفة المرأة وطهرها، لا يكون بتر الأعضاء التناسلية الخارجية، لأن الشهوة مكنها في المخ، والأعضاء التناسلية تؤدي إلى الإشباع الجنسي التام، وإنما تكون العفة بالتربية الصحيحة، والإيمان العميق، واتباع المنهج الرباني، والزواج المبكر، والحجاب الشرعي، والبعد عن الاختلاط، والبعد عن مثيرات الشهوة، والتكافل الاجتماعي.

ثانياً: التوصيات

- ١ - يجب على المسلمين ختان بناتهم الختان الشرعي الصحيح وبالكيفية المطلوبة، لأن فيه العفة والفضيلة وهي مطلوباً شرعاً.
- ٢ - لا بد من التمييز بين الختان المشروع والختان المنوع، في أوساط المجتمع السوداني بصفة خاصة والمجتمع

الإسلامي بصفة عامة.

٣- تضمين كيفية إجراء اختتان المشروع في مناهج كليات الطب وكليات التمريض العالي ومدارس القابلات.

٤- الإشراف المباشر من الأطباء على عمليات الختان المشروع، وتحديد مستشفيات ومراكز لذلك، في كافة أنحاء السودان، والتأكيد على منعه داخل الأحياء والمنازل.

٥- اختتان القرعوني عادة منكورة، وجريمة شنيعة، فعل أولياء الأمور، والمربين والمعلمين، وريبات البيوت، أن يعرفوا خطر هذه الجريمة، وأن يقوا بناتهم البريئات من شرها.

٦- على المسؤولين في الدولة - خاصة أهل القانون - أن يضعوا مادة في القانون الجنائي، تجرم هذا الفعل وتعاقب عليه.

٧- على المسؤولين في أجهزة الإعلام تكييف جهودهم لبيان خطر هذه العادة الضارة، من خلال برامج إعلامية معدة لذلك.

٩- على وزارة الصحة الاتحادية ووزارات الصحة بالولايات، أن يبينوا للقابلات خطورة هذه الجريمة - وأحسب أنهم فعلوا ذلك - ولكن لا بد من المتابعة والملاحقة، لأن هذه العادة مازالت تمارس حتى الآن على أيدي القابلات، وعليهم أن يقوموا بدورهم، خير قيام تجاه هذه العادة، لأن هذا هو مجالهم واختصاصهم.

١٠- على القابلات أن يتقين الله تعالى، وألا يقدمن على فعل هذه العادة الذميمة، وليعلن أن فيها غضب الله تعالى ولعته على من تفعلها، وهي محرمة، وفيها انتهاك لحقوق المرأة، والقضاء على أنوثتها، وعليكن أيتها القابلات عدم الإصغاء لكلام أمهات البنات، لأن ذلك طاعة في معصية الخالق، و﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ (١).

١١- نوصي الشباب من الجنسين، بأن يكون لهم قدرٌ كافٍ من الثقافة الجنسية، وذلك بالاطلاع على

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٦٥/١٨)، برقم: (٣٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٨/١).

المؤلفات الإسلامية في هذا المجال، مثل كتاب تحفة العروس للإستانبولي، وكتاب آداب الزفاف للألباني، وكتاب آداب الزفاف لعبد الله ناصح علوان وغيرها، حتى يكونوا على معرفة ودراية، فإن ليلة الزفاف الأولى تبني عليها الحياة الزوجية، كما نوصيهم بالألا يتعجلوا في أيام الزفاف الأولى، بل عليهم الرفق بزواجهم، حتى لا يتكدر صفو الحياة الزوجية.

مسرد المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: التفسير وعلوم القرآن

- أحكام القرآن للجصاص: تحقيق محمد الصادق قحاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- تفسير ابن كثير: دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٤٠١ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي - تحقيق أحمد عبد العظيم البردوني - دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢ هـ.

- زاد المسير لابن الجوزي: المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه

- تحفة الأحوزي: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- تلخيص الحبير: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم الجبالي - المدينة المنورة، ١٣٨٤ هـ.

- خلاصة البدر المنير: ابن الملقن - مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- سلسلة الاحاديث الصحيحة: الشيخ الألباني - مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.

- شرح السنة للبغوي: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - ١٤٠٣هـ.
- صحيح البخاري: دار ابن كثير اليمامة، بيروت ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح الباري: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب - دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فيض القدير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط ١، ١٣٥٦هـ.
- مجمع الزوائد: الهيثمي - دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- المستدرک علی الصحيحین: أبو عبد الله الحاكم - دار الكتب العلمية، بيروت لبنان - ط ١١١٤، ١٤١١هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- معجم الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني - دار الحرمين القاهرة، ١٤١٥هـ.
- رابعاً: كتب الفقه وأصوله
- أ. كتب أصول الفقه:
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدری - دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف - دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- اللمع في أصول الفقه: أبو إسحق الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- المدخل: عبد القادر بدران الدمشقي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- المعتمد: أحمد بن علي بن الطيب البصري - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.

ب. كتب الفقه:

كتب الفقه الحنفي:

- البحر الرائق: ابن نجيم الحنفي - دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- بدائع الصنائع: علاء الدين الكاساني - دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م.
- حاشية ابن عابدين: محمد أمين بن عابدين، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٨٦هـ.

كتب الفقه المالكي:

- حاشية الدسوقي: محمد بن عرفة، تحقيق: محمد عlish - دار الفكر، بيروت.
- شرح الزرقاني: محمد بن عبد الباقي الزرقاني - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- الشرح الكبير: أحمد الدردير، تحقيق: محمد عlish - دار الفكر، بيروت.
- القواكه الدواني: أحمد بن غنيم المنفراوي - دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

كتب الفقه الشافعي:

- الأم: الإمام الشافعي - دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ.
- روضة الطالبين: النووي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- المجموع شرح المذهب: النووي، تحقيق: محمود مطرchi - دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- المذهب: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الفكر - بيروت، بدون.
- الوسيط: أبو حامد الغزالي، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم وآخرين - دار السلام - القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ.

كتب الفقه الحنبلي:

- الكافي في فقه الإمام أحمد: ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- كشف القناع: منصور البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي - دار الفكر - بيروت، ١٤٠٢هـ.
- المبدع: ابن مفلح الحنبلي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم الحارثي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم،

مكتبة ابن تيمية.

- المحرر في الفقه: ابن تيمية - مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

- المغني: ابن قدامة المقدسي - دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

خامساً: كتب المعاجم اللغوية

- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

- لسان العرب: لابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، بدون.

- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، بدون.

- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي - المكتبة

العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

سادساً: كتب القانون وكتب عامة

- أحكام النساء: ابن الجوزي - إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط ٢، ١٤١٤هـ.

- ١٩٩٣م.

- تحفة المودود: لابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة دار الريان - دمشق، ط ١،

١٣٩١هـ.

- التشريع الجنائي الإسلامي: عبد القادر عودة - مؤسسة الرسالة، ط ١٢، ١٤١٣هـ.

- قوانين السودان لسنة ١٩٧٤م المجلد التاسع، ط ٥.

- قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م، إصدار ديوان النائب العام.

- القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م، إصدار ديوان النائب العام.

سابعاً: الكتب الطبية

- أحكام الجراحة الطبية: د. محمد المختار الشنقيطي - مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية.

- أسرار ليلة الزفاف: بكر محمد إبراهيم - مكتبة الصفا، ١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة.

- الإسلام والجنس: فتحي يكن - مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

- البتر التناسلي للإناث: د. محمد فياض - دار الشروق، القاهرة، ط ٩، ١٤١١ هـ - ١٩٩٨ م.
 - تحفة العروس: عزيز العطار وأحمد الشهاوي - المكتبة التوفيقية، القاهرة.
 - التدابير الواقية من الزنا: فضل إلهي - مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
 - ختان الأنثى للدكتورة آمال أحمد البشير، مطابع السودان للعملة، ط ١، ١٤١٦ هـ.
 - ختان الإناث الشرعي رؤية طبية: د. ست البنات خالد - مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٣ م.
 - اختان في الطب والدين والقانون: د. أحمد شوقي الفنجري - دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
 - اختان: الدكتور محمد علي البار - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
 - خفاض المرأة: بروفيسر فيصل محمد مكي - منشورات معهد سكيانة ط ١، ١٩٩٠ م أم درمان.
 - خفاض الإناث وأثره على صحة المرأة: د. آمنة عبد الرحمن حسن - إصدار جمعية محاربة مخاربة العادات الضارة - الخرطوم.
 - خفاض الإناث وعلم النفس التربوي: د. آمنة عبد الرحمن حسن، رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة إفريقيا العالمية، عام ٢٠٠٠ م.
 - مذكرة عن اختان في السودان الإنجليزي المصري: وضعها مجموعة من الأطباء السودانيين والإنجليز منهم: أ.د. بريدي مدير المصلحة الطبية السودانية وآخرين.
 - مضاعفات ومخاطر خفاض البنات: لحسن أبو سبيب وآخرين - أمير للطباعة والنشر، الخرطوم بحري ط ٤، ١٩٩٩ م.
- ثامناً: المجلات الطبية والجرائد والمنتديات
- مجلة طبيبك والعائلة: العدد (٢٩) صدرت في مايو ٢٠٠٣ م.
 - المجلة الطبية العدد (٩) إصدار وزارة الصحة عام ١٩٩٥ م.
 - جريدة أخبار اليوم: العدد ٣١٢١ سنة ٢٠٠٢ م.

- جريدة الأيام العدد (٧٦١٥) الصادر بتاريخ ١٣/٣/٢٠٠٢م.
- جريدة الصحافة العدد الصادر بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق ١٩/٨/٢٠٠٢م.
- منتدى حوار «نحو وضع إطار قانوني لمحاربة ختان الإناث»، مركز الشهيد الزبير الدولي للمؤتمرات - مايو ٢٠٠١م - الخرطوم: إعداد القاضي محمد صديق محمد صالح ت معهد الإصلاح والتدريب القانوني.
- تأصيل ختان الإناث (مشروع إنشاء مركز للتدريب وإجراء عملية الختان الشرعي) جامعة أم درمان الإسلامية - مركز الطالبات، مركز الخدمات الطبية، نوفمبر ٢٠٠١م.
- القيم والمعايير في ضبط العادات الضارة (ختان الإناث مثلاً) دراسة لغوية تأصيل ختان الإناث، إعداد: أ.د. بابكر البدوي دشن، عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية سابقاً، مايو ٢٠٠٢م.
- القيم والمعايير في ضبط العادات الضارة (ختان الإناث مثلاً) الورقة الاجتماعية، إعداد: د. هاجر علي محمد بنحيت، وزارة الإرشاد والأوقاف، مايو ٢٠٠٣م.